للمجلس كلمة

هل آن الأوان لإنشاء هيئة دولية للرقابة الشرعية؟

أ. محمد بن يوسف
المدير التنفيذي والأمين العام بالإنابة

ما يميز الصناعة المالية الإسلامية عن الصناعة المالية التقليدية أساسا وجود الهيئات الشرعية كهيكل إضافي للحوكمة والمراقبة.

تختلف الأمصار، وتختلف المذاهب باختلاف الأمصار، وتختلف الآراء والفتاوى باختلاف المذاهب. والاختلاف رحمة. ولكن قد يتحول هذا الاختلاف كذلك إلى نقمة إذا ما وظف بالطريقة التي يراد بها الأساءة والتفرقة.

فالعامل الأساسي الذي لعب عليه المستعمر منذ القدم هو الاختلاف معتبرا أنه مصدر بث الفتنة والتفرقة. فحيثما أراد المستعمر التفرقة بين قبيلة وأخرى، أو بين شعب وآخر، أو بين طائفة وأخرى إلا وجعل نقاط الاختلاف هي محور الحديث، وذلك من خلال سياسة "فرق تسد". والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ الإسلامي.

فلا نريد أن يكون لهذه السياسة مدخلا في الصناعة المالية الإسلامية وإن كان الاختلاف رحمة، فالتوحد والاعتصام بحبل الله مطلب أساسي.

لماذا لا نفكر في إنشاء هيئة رقابة شرعية دولية، واعتماد النموذج الأصلح للصناعة المالية الإسلامية.

في دولة مثل السودان ؟ حيث يوجد نظام إسلامي متكامل، توجد هيئة شرعية مركزية ملزمة للهيئات الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية. هذا نموذج يحتذى ولكن لم يرتق إلى العالمية!

في ماليزيا يوجد نظام مالي مزدوج: نظام مالي إسلامي يعمل بالتوازي مع نظام تقليدي. نجح النظام المالي الإسلامي في ماليزيا في فرض نفسه كنموذج ناجح على صعيد العالم. ولكن يبقى نموذجا محليا يعتريه القصور في العديد من الجوانب.

لماذا لا نفكر في إنشاء هيئة دولية للرقابة الشرعية ؟ قد تكون منضوية تحت مظلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي أو تحت مظلة منظمة التعاون الإسلامي. وقد يقوم المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية مثلا، بوصفه منظمة دولية، بدراسة جدوى تأسيس هذه الهيئة. والهدف من تأسيس هذه الهيئة هو أن تكون ملزمة للهيئات المركزية التي تنشأ حينئذ في كل دولة وتكون ذات صبغة إلزامية بدورها للهيئات الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية.

أصبح وجود هيئة شرعية دولية مطلباً ملحاً نسمعه هنا وهناك. فكلما أقيم مؤتمر أو ملتقى أو ندوة عن الهيئات الشرعية، تعالت الأصوات مطالبة بتقنين هذا المجال. ومع ذلك تبقى بعض الأصوات من ذوي المصالح تعارض وتعرقل وتشجب وتنتقد. هناك من لا يريد لهذا المجال أن يقنن، أو يوضع له الضوابط. ومع ذلك، لن يبقى لمثل هذه الأصوات من صدى لأن الحق يظهر في النهاية، وما ينفع الناس يمكث في الأرض مصداقا لقوله تعالى "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ".

والله ولي التوفيق.